فضل القرآن

أيها الأحباب: القرآن العظيم هو كتاب الله الخالد ودستوره السماوي الجامع.. ولو أردنا أن نتحدث عن بعض فضله لما استطعنا ولضاق بنا المقام. والسؤال: كيف نفهم القرآن؟ وكيف نتعامل معه؟ كيف نتأثر به؟ كيف نعمل به؟..

معلوم أن القرآن هو آخر كتاب سماوي أنزله الله لأهل الأرض، وهو كلام الله الموحي إلى نبيهﷺ.. خاتم النبيين.. فالذي يقرأ القرآن يجب أن يستحضر أنه يسمع كلام الله مباشرة..

إن القرآن يشكونا إلى الله لأننا هجرناه ووضعناه فوق الأرفف وفي السيارات.. تعالوا بنا نتعرف على بعض فضل القرآن العظيم.

ـ يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].

ـ ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41، 42].

ـ ويقول جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

ـ ويقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: 44].

ـ والآيات ـ غير هذه ـ في فضل القرآن لكثيرة.. فالقرآن هداية وشفاء ورحمة ونور وفرقان وتبيان لكل شيء وبرهان.. فهل يستشعر المسلم كل هذه المعاني عندما يقرأ القرآن؟

ـ ويقول النبيﷺ لعلي رضي الله عنه: «**إنها ستكون فتنة** ـ أي ستحدث فتن شديدة ـ يقول علي رضي الله عنه: قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم** (الماضي والحاضر والمستقبل: أي أنه صالح لكل زمان ومكان) **وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.. هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم.. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.. لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة.. ولا يشبع**

منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يبلى على كثرة الرد»[1] أي التكرار.

سبحان الله!! لا أحد يمل من قراءة القرآن مهما قرأه، ولو قرأه بقلب حاضر وفكر ثاقب لخرج في كل مرة بمعانٍ جديدة.. وفوائد جمة.. ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: 1، 2].. سبحان الله!. الجن لما سمعت القرآن آمنت به! والناس الآن يرمون كل مصائبهم وكل أمراضهم على الجن!! هذا عن فضل القرآن.. فماذا عن فضل قراءته؟!.

فضل قراءة القرآن من السنّة المطهرة:

1 ـ يقول النبيﷺ: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»[2] فتخيل أن القرآن العظيم هو شفيعك يوم القيامة، لا أبوك ولا أمك ولا أخوك، ولا أحد من الصالحين.. بل إن شفيعك هو القرآن.. ونعم الشفيع القرآن.

2 ـ ويقولﷺ: «**يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون**

(1) رواه الدارمي (الحديث: 2/ 435).

(2) رواه مسلم (الحديث: 1871) والإمام أحمد (الحديث: 5/ 249).

به في الدنيا (وهذه نقطة مهمة: العمل والتطبيق لأحكام القرآن وآدابه وأخلاقه وكل ما فيه) .. **تقدمهم سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»**[1] أي تدافعان عنه، وتشفعان فيه.

3 ـ وفي حديث آخر ..«**تأتي سورة البقرة وآل عمران كغمامتان أو كغيايتان أو كفرقان من طير صواف»**[2].. أي كالطيور المتراصة تحمي صاحبها من حر الشمس يوم القيامة.

4 ـ ويقول سيد الخلق وحبيب الحق محمدﷺ: «**لا حسد** ـ أي لا غبطة ـ **إلا في اثنتين** (أي لا يتمنى المسلم أن يكون إلا كمثل أحد رجلين): **رجل آتاه الله القرآن، فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»**[3].

5 ـ ويقولﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**».. فهل يرضى أحد بالخراب؟! وهل يتصور أن يمر على مسلم يوم لا يقرأ فيه شيئًا من القرآن؟! وإذا حدث هذا فما دليل ارتباطه بهذا الدين إذن؟! هل مجرد الاسم؟!

---

(1) رواه مسلم (الحديث: 1873) والإمام أحمد (الحديث: 4/ 183).

(2) رواه مسلم (الحديث: 1871).

(3) رواه البخاري (الحديث: 7529) ومسلم (الحديث: 1891) والترمذي (الحديث: 1936).

6 ـ ويقول ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[1]. وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ به 19 حرفًا، إذن بتسع عشرة حسنة! إذن فكم ثواب الربع وكم ثواب الجزء وكم ثواب القرآن كله؟! بحسبة بسيطة يمكن أن تحصّل 700 ألف حسنة في 35 دقيقة تقرأ فيها جزءًا من القرآن!! فياله من فضل عظيم نحن عنه غافلون!

7 ـ ويقول ﷺ: «**... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[2]. ويقول العلماء: وهذا الفضل ليس قاصرًا على مجالس القرآن في المساجد فقط، بل وفي البيوت أيضًا! فما المانع أن نخصص ربع ساعة فقط أو نصف ساعة للقرآن وبقية وقت الزيارات المنزهة للحديث؟!.

8 ـ ويقول ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[3]

(1) رواه الترمذي (الحديث: 2910).
(2) رواه مسلم (الحديث: 6793) وأبو داود (الحديث: 1455).
(3) رواه الإمام أحمد (الحديث: 3/ 138).

obeikandl.com

يعني أولياء الله.. ومعنى أهل القرآن أي: الذين يحفظونه ويقرأونه دومًا..

9 ـ يقول ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[1] وهذا الترقي يكون في درجات الجنة على قدر ما يحفظ من كتاب الله تعالى: والقراءة في الجنة تكون بتأنٍ وترتيل وتمهل؛ لأنه لا عجلة كما كان البعض يتعجل عند قراءة القرآن في الدنيا.. وأكثر الناس قراءة للقرآن وحفظًا له وعملاً به في الدنيا، هم أعلى الناس درجات وأسماهم منازل في الجنة.

هذه بعض وليس كل الأحاديث الواردة في فضل القرآن العظيم، والحديث الآن عن:

واجبنا نحو القرآن:

لاشك أن للقرآن حقاً عظيماً، بل حقوقاً عظيمة علينا معشر المسلمين..

سيقتصر حديثنا على خمس واجبات، ليتنا نحصيها ونحفظها ونطبقها في حياتنا:

---

(1) رواه أبو داود (الحديث: 1464) والترمذي (الحديث: 2914) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 192).

الأول: كثرة القراءة وتحديد ورد ثابت كل يوم:

والسؤال: هل هناك مسلم لا يمكن أن يختم القرآن في حياته؟! هذه مصيبة كبرى! وأنا أسألك أيها القارئ الكريم: أتذكر آخر مرة ختمت فيها القرآن؟! أخشى أن تكون ختمة رمضان الماضي؟!.. وأن يكون مصحفك قد وضع على الرف بعد رمضان وعلاه التراب.. واحذر أن يشهد عليك القرآن أنك هجرته يوم القيامة!! وماذا تفعل لو لم تقرأ وردك اليومي؟!

بعض الصحابة كان إذا فاته ورده يبكي.. وقد دخلوا على أحدهم ذات مرة فوجدوه يبكي بشدة، فسألوه: أتشتكي وجعًا؟ قال: أشد.. أشد، قالوا: وما ذاك؟ قال: نمت بالأمس ولم أقرأ وردي، وما ذلك إلا بذنب أذنبته!!

إن كثيرًا من الناس يقضون أوقاتًا طويلة في قراءة الجرائد.. وقد ينزلون بالليل لكي يحصلوا على صحيفة الغد بتلهف واهتمام! فلماذا لا يحظى كتاب الله ولو بمثل هذا الاهتمام؟! أتزهد في ثواب القرآن؟! وبعض الناس يضيع وقته في التفكير والنظر إلى لا شيء وإذا سُئِل يقول: لا أجد شيئًا أعمله!! وهل نسي المسكين كتاب الله؟.

* روي أن عبد الله بن عمر أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ فقال: «**في ثلاثين**» (أي تقرأ كل يوم جزءًا)، فقال ابن عمر: في ثلاثين! إني أطيق أكثر من ذلك!

(وانظر إلى هذا النهم وهذا الحب وهذه اللهفة على قراءة القرآن) فقال: «**ففي عشرين**» قال: إني أجد قوة (أنا أقوى من هذا) قال: «**ففي عشر**»، فقال: فإني أطيق أكثر من ذلك فقال: «**ففي خمس**»، قال: يا رسول الله: إني أطيق أكثر من ذلك! قالﷺ: «**في ثلاث ولا أقل من هذا**».. وقالﷺ: «**من قرأه** ـ أي القرآن ـ **في أقل من ثلاث لم يفقهه**»[1].

ولهذا أيها الأحباب، لا ينبغي أن تكون مدة ختام المسلم للقرآن في أقل من ثلاث ولا في أكثر من شهر؛ طبقًا للحديث السابق ذكره.

* ونحن لا نطالب بأن نكون كالصحابة.. الأمر يحتاج إلى تدرج، ومن لا يقرأ القرآن وليس له ورد فليبدأ ولو بربع ثم بحزب ثم بجزء.. وإن استطاع أن يقرأ بعد ذلك جزءين أو ثلاثة في اليوم فبها ونعمت، وله ثواب الأجر ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].

الثاني: تعلم قراءة القرآن:

وهذا الأمر ليس صعبًا، فمعظم الناس قد يتعلمون الإنجليزية أو الفرنسية، فلماذا يصعب عليهم تعلم القرآن الذي

(1) رواه الإمام أحمد (الحديث: 2/ 164).

نزل بلغتهم وحديثهم اليومي؟! ولماذا يصير كلام الله الذي يقول عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17] لماذا يصير صعبًا عليك!!

لا شك أن كل واحد يعرف الإجابة عن هذا السؤال.

* يقول النبيﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]، فأحسن المسلمين من تعلم كيف يقرأ القرآن ثم علمه لغيره..

* ويقولﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به** (أي يقرأ القرآن كما أنزل..) **مع السفرة الكرام البررة** (مع الملائكة المقربين)، **والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[2] (أجر القراءة وأجر المشقة)! ومعنى يتتعتع: أي يتلجلج ويضطرب.

وهناك سؤال: ما معنى تعلم القرآن؟!

معنى تعلم القرآن أن يقرأ المسلم القرآن بأحكامه: يمد الممدود ويغن الغنة ويقلقل القلقلة.. إلخ؛ لأن المسلم مطالب أن يقرأ القرآن كما كان يقرؤه الحبيب المصطفىﷺ.

---

(1) رواه البخاري (الحديث: 5027) وأبو داود (الحديث: 1452) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 58).

(2) رواه البخاري (الحديث: 4937) ومسلم (الحديث: 1859) والترمذي (الحديث: 2904).

والسؤال: أين تتعلم تجويد القرآن؟!

والإجابة: على يد الشيخ في المسجد أو في بيتك أو في بيته.. والأمر كله لا يستغرق أكثر من ثلاثة أو أربعة أشهر!! وبها تصير مع الملائكة الكرام البررة، وبهذا يرقى المسلم وتزداد منزلته عند الله تعالى!

ولذلك كان النبيﷺ يقول لأصحابه: «**أيكم يحب أن يغدو إلى السوق فيأتي بناقتين زهراوتين**» (أي جميلتين عظيمتين) «**من غير إثم أو قطيعة رحم**» (من غير إسراف أو شجار مع أحد)؟ فقالوا: كلنا نحب ذلك يا رسول الله، فقال: «**لئن تغدو إلى المسجد فتتعلم الآيتين من القرآن كل يوم خير لك من أن تذهب إلى السوق فتأخذ كذا وكذا**»[1]، أي أن تعلم آيتين أفضل - بمقاييس اليوم - من ألف جنيه على الأقل! فمن منا يعزف عن هذا الفضل وهذا الكرم العظيم؟!.

الثالث: التأثر عند قراءة القرآن:

يجب على المسلم أن يتأثر بالقرآن عند تلاوته ويتفاعل معه فيضطرب أو يهتز قلبه، ويشعر أن القرآن يتنزل عليه هو

(1) رواه مسلم (الحديث: 1870) وأبو داود (الحديث: 1456).

وفي لحظة قراءته، كما حكى الشاعر الكبير محمد إقبال قال: كان أبي يقول لي: **يا بني اقرأ القرآن وكأنما عليك أنزل!!** وبهذا يذوق المسلم حلاوة القرآن ويستشعر عظمته..

* وهذا هو الرسول الأكرم والمعلم الأعظم يضرب المثل والقدوة في التأثر بالقرآن والتجاوب مع آياته الكريمة، قال يومًا لعبد الله بن مسعود: «**اقرأ عليّ القرآن**»، فيقول ابن مسعود: يا رسول الله: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»[1]، فجلست أقرأ عليه سورة النساء، حتى وصلت إلى قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] فقال لهﷺ: «**حسبك الآن**» (أي كفى) فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان (أي يبكيﷺ من التأثر بالقرآن والتعايش معه؛ إذ علم أنهﷺ المقصود والمعني بهذه الآية).

وأنا أسألك ـ أخي القارئ العزيز ـ: هل بكيت وأنت تقرأ القرآن ذات مرة؟!.

وهذا صحابي آخر يقول: كنا نسمع لرسول اللهﷺ وهو يقرأ القرآن في الصلاة أزيزًا كأزيز المرجل من البكاء (أي

(1) رواه البخاري (الحديث: 5049) ومسلم (الحديث: 1864) وأبو داود (الحديث: 3668).

أنهﷺ كان يحدث مثل الهزة عند القراءة لشدة تأثره بها، وأزيز المرجل هو صوت الإناء الذي يغلي به الماء)!!

* وهذا هو الصديق رضي الله عنه ـ تلميذ النبي الأول ورفيقه في حياته وبعد مماته ـ لما اشتكى النبيﷺ مرضه الذي مات فيه قال لآل بيته: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[1]، فكأنهم تعجبوا من ذلك وقالوا يا رسول الله: إن أبا بكر رجل أسيف (شديد التأثر بالقرآن) إذا قرأ القرآن بكى!!

* وهذا سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يسير في الطريق ذات يوم فسمع رجلاً يقرأ قوله تعالى من سورة الطور: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.. فسقط مغشيًا عليه، فحمله الناس إلى بيته وظلوا يزورونه شهرًا، يظنون أن به مرضًا، وما به مرض بل هو شدة الخوف من الله تعالى واستحضار لمشهد يوم القيامة العظيم، وشدة عذاب الله تعالى للكافرين.

* وجاء وفد اليمن إلى رسول اللهﷺ فسمعوا قرآنًا فبكوا كلهم، فنظر إليهم الصديق رضي الله عنه وقال: كنا كذلك قبل أن تقسو القلوب! الصديق (رضي الله عنه) يتحدث عن قسوة

(1) رواه البخاري (الحديث: 664) ومسلم (الحديث: 940) وأبو داود (الحديث: 1232) والإمام أحمد (الحديث: 4/ 412).

القلوب! فماذا نحن قائلون؟ وماذا نحن فاعلون؟!

* وهذا عبّاد بن بشر رضي الله عنه يقف على حراسة المسلمين ذات ليلة ومعه عمار بن ياسر؛ فقام عبّاد يصلي، فبينما هو كذلك أتى أحد الكفار فضربه بسهم في كتفه فلم يخرج من صلاته، بل نزع السهم واستغرق في صلاته وتلذذه بالقرآن المجيد، فرماه الكافر بسهم آخر فنزعه وعاد إلى صلاته وقراءته! فرماه بثالث فلم يستطع أن يتحمل شدة الجروح وكثرة الدماء فركع وسجد ثم أيقظ صاحبه عمارًا رضي الله عنه، فسأله عمار: لِمَ لمْ توقظن من أول سهم! فقال: كنت في سورة من القرآن، لخَروجُ روحي أحب إلى من أن أدعها!!

ـ فهل شعر أحد منكم بلذة القرآن وحلاوته؟ هل دخل أحدكم مرة في صلاة القيام وكان ينوي أن يصلي بربع فإذا به لا يستطيع مقاومة حلاوة القرآن فقرأ أكثر من ذلك واستمتع بالقرآن ومناجاة الرحمٰن؟!

* هذا هو التابعي الجليل الأحنف بن قيس ـ رحمه الله ـ كان يقرأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10] أي فيه أخباركم وصفاتكم وأفعالكم، يقول: فأفتح القرآن وأنظر وأقول: أرى بماذا يذكرني ربي اليوم.. فيقرأ ويقرأ حتى يمر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: 145] فيقول: لست من هؤلاء، لست من هؤلاء.. وعندما يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: 2]. فيندم ويقول: لست من هؤلاء!

ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 102] فيقول: أنا من هؤلاء، أنا من هؤلاء!.

فانظر إلى تفاعل هذا التابعي الجليل مع القرآن العظيم، وهكذا يجب أن يكون أدب المسلم مع القرآن دائمًا. وقد قيل: إذا سمعت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فأنصت، فإنه إما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه.

والناس يتفاوتون في التجاوب مع القرآن، ونرى هذا واضحًا في شهر رمضان، لا سيما في صلاة التهجد، فبعضهم يتأثر ويبكي وبعضهم يتأثر ولا يبكي وبعضهم لا يتأثر ولا يبكي، والعجب أنك قد ترى رجلاً غير عربي باكستانيًا أو بنغاليًا مثلاً، ومع ذلك يبكي عند سماع القرآن، وسبحان الله.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والقلب إذا قسا ـ والعياذ بالله ـ لا يتأثر بالقرآن . يقول

تعالى عن اليهود في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] إلى آخر الآية.

* ويتحدث النبيﷺ ـ وكأنه يصف أحوال قلوبنا التي قلما تتأثر الآن بالقرآن ـ فيقول: «**سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيقرؤونه لا يجدون له لذة، إن قصروا قالوا: سنبلغ** (أي سنصل إلى ما نريد)، **وإن أساؤوا قالوا: سيغفر لنا**»[1].

الرابع: تدبر القرآن:

سبق أن ذكرنا واجبين من واجبات المسلم نحو القرآن وهما القراءة والتعلم.. والواجب الثالث هو: القراءة بتدبر.. ومن فضل الله علينا أن القرآن نزل بلسان عربي مبين سهل واضح.. واسمع مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59] آية بينة واضحة تتحدث عن علم الله المحيط، ومن قرأها لا بد أن يحس بعظمة الله تعالى وقدرته.. وإن لم يحس بهذا فليعلم أنه لم يتدبر الآية وأنه قرأها بقلب غافل ساهٍ.

(1) رواه الدارمي (الحديث: 2/ 439).

ومن لا يتدبر القرآن لا شك أن على قلبه قفلاً. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؟! [محمد: 24] ويقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 23].

وبعض الوسائل المعينة على تدبر القرآن، قراءة بعض تفاسير القرآن لمعرفة ما قد يغمض منه من كلمات أو يدقّ من معانٍ، ويُفضل أن نبدأ بتفسير «ابن كثير»، فهو تفسير بسيط، فإن أردت أن تستزيد فاقرأ «في ظلال القرآن».

الخامس: مراجعة ما نحفظ من القرآن:

فلا يصح لمسلم أن يحفظ كلام الله ثم ينساه، ومما يعين على الحفظ كثرة المراجعة والصلاة بما تحفظ خاصة في قيام الليل.

* يقول النبيﷺ: «**عُرضتْ عليَّ ذنوب أمتي فلم أجد ذنبًا أعظم من سورة أو آية من قرآن أوتيها رجل ثم نسيها**»[1]..

وهذا تحذير من النبيﷺ، وبيان لصعوبة موقف المسلم الذي لا يعتني بالقرآن العناية الواجبة، فينساه بعد أن يحفظه.

---

(1) رواه أبو داود (الحديث: 461) والترمذي (الحديث: 2916).

* ويقول ﷺ: «**تعاهدوا هذا القرآن** (أي احرصوا على قراءته ومراجعته) **فوالذي نفس محمد بيده، لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقلها**»[1].

ويفضل لمن لا يحفظ شيئًا من القرآن أو من يودّ الحفظ بشكل منتظم أن يبدأ من سورة الناس.. وحبذا لو حرصتَ على قراءة تفسير ما تقرأ أو تحفظ، لأن معرفة التفسير من الوسائل المعينة على تثبيت الحفظ وسرعة التذكر ... وأكرر نصيحتي لك بأن تحرص على أن تقوم الليل بما تحفظ من القرآن.

السادس: العمل بالقرآن:

من واجبات المسلم نحو القرآن العمل به ـ أي بأوامره ونواهيه ـ يقول ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»[2].. ويكون حجة عليك عندما تقرؤه فلا يتجاوز آذانك ولا ينعكس على سلوكياتك وتصرفاتك..

ولا تنس أن النبي ﷺ كان خلقه القرآن.. أي كان يحرص على تطبيق ما في القرآن.

---

(1) رواه البخاري (الحديث: 5033) ومسلم (الحديث: 1841) والإمام أحمد (الحديث: 4/ 397).

(2) رواه ابن ماجه (الحديث: 280) والنسائي (الحديث: 2436) والإمام أحمد (الحديث: 5/ 343).

واعلم أن سيدنا عمر رضي الله عنه حفظ سورة البقرة في ثماني سنوات، لأنه كان يحرص على العلم والعمل معًا...

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **كنا نتعلم العشر آيات من القرآن فلا ندعها حتى نعمل بها ـ أو فلا نجاوزها إلى غيرها حتى نعمل بها ـ فتعلمنا العلم والعمل جميعًا.**

* ولأن الصحابة كان يفقهون آيات القرآن ويعيشون معها كانوا يسارعون إلى طاعة أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه.. ولهذا لما نزلت آيات النهي عن شرب الخمر سكب المسلمون ما عندهم من أواني الخمر حتى امتلأت بها سكك المدينة، أي شوارعها وطرقاتها وقالوا: انتهينا يا ربنا. وكذلك آيات الحجاب.. لما نزلت سارعت نساء الأنصار إلى أثوابهن وجعلن منها حجابًا كما أمر الله تعالى.. وكذلك عندما نزلت آيات الزكاة والصدقة.. ومثال ذلك لما نزل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قام سيدنا أبو الدحداح إلى أجمل حديقة عنده وأحبِّها إليه فتصدق بها.. والفرق بيننا وبين الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتلقون القرآن للعمل والتنفيذ، أما نحن فللأسف نتلقاه للاستماع والإعجاب فقط، وقلما

يلتزم أحد الآن بواجباته كلها نحو القرآن العظيم.

ويا لسوء عاقبة من ينطبق عليه قول الرسولﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]. فهل تحب أو تتحمل أن يشكوك الرسولﷺ إلى ربك وخالقك ورازقك تعالى؟! إنه لموقف عصيب شديد.

كيف نفهم القرآن؟!

من فضل الله تعالى أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين.. ولذا فإن العرب سيكونون أشد الناس حسابًا على القرآن يوم القيامة.. واللغة العربية هي لغة أهل الجنة، واللغة العربية ثرية بألفاظها ومفرداتها وتراكيبها.. وأصول الكلمات في اللغة العربية 50 ألف كلمة، بينما هي في الإنجليزية 20 ألفًا فقط.

فمثلاً كلمة (حبيب).. أقصى عدد من الاشتقاقات لها في الإنجليزية اثنا عشر اشتقاقًا، بينما تصل في العربية إلى ما بين 40 و45 اشتقاقاً..

ومعلوم أن اللغة العربية استفادت كثيرًا من القرآن، ولولا ذلك لانتهت هذه اللغة أو أوشكت، فالقرآن هو الذي حفظ لهذه اللغة بقاءها ونماءها وتطورها وتجددها وحيويتها، ومعلوم أن لغات أوربا كلها أصلها اللاتينية، ولكن لما انقسمت

وتعددت دول أوربا ظهرت عشرات اللغات فيها كالفرنسية والألمانية والبرتغالية والأسبانية ... إلخ، وكلها متداخلة مع بعضها، لأنه ليس بينها رابط، أما اللغة العربية فبقيت محفوظة ببقاء القرآن، وإن تعددت اللهجات. ولكن إذا تحدثت بالعربية الفصحى يفهمك أخوك العربي في أي مكان. ولهذا فإن علينا أن نفخر بانتمائنا للأمة العربية والدين الإسلامي معًا.. وعلينا أن نحرص على التحدث بها، ولا نستحي منها، ولا يكون عندنا عقدة نقص فنتشدق ببعض الكلمات الأجنبية التي نحفظها ونهجر العربية، لغة القرآن.

محاور القرآن الكريم

هناك خمسة محاور ـ أي موضوعات رئيسية كبرى ـ يدور حولها القرآن الكريم ويمكن تفصيلها كالآتي:

المحور الأول: معرفة الله عز وجل:

أي معرفة أسمائه وصفاته وقدراته وملكه، وحبه والخوف منه.. وهناك مئات الآيات التي تتحدث عن قدرة الله تعالى وتختم باسم أو أكثر من أسمائه الحسنى لترسيخ المعنى المراد في الآية الكريمة.

المحور الثاني: معرفة سبب وجودك في الحياة:

وكيف خُلقت وكيف نشأت، وكيف بدأ الكون، ولهذا فإن قصة آدم ـ عليه السلام ـ تكررت عشرات المرات في القرآن لكي نتذكر هذا المعنى جيدًا.

المحور الثالث: معرفة نعم الله وفضله علينا:

وهناك عشرات الآيات التي تتحدث في فضل الله تعالى ونعمه على عباده، وهي لا تعد ولا تحصى.

المحور الرابع: معرفة الإنسان مصيره ونهايته:

وتتناول ذلك في القرآن آيات الجنة والنار والحساب والصراط والميزان... إلخ.

المحور الخامس: إصلاح حياة البشر:

وتتناول ذلك الآيات التي تتحدث عن الشرائع والأخلاق وقصص الأنبياء وغيرها من الوسائل التي تضبط حياة البشر.. ومعلوم أن شريعة الإسلام وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان وأن أهدافها خمسة هي: حفظ الدين والعرض والنسل والمال والعقل.

obeikandi.com

ومعلوم أن الغرب يعيش عيشة مترفة لأنه لا يعرف الغاية التي من أجلها خُلق، ولهذا فإنه لا رقيب على أفعاله، أو بمعنى أدق لا يراقب الله ولا يخافه، هذا إن كان يعترف أن له ربًّا وخالقًا. وبالطبع لا يمكن أن يستوعب قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

ومن مميزات القرآن الكريم الشمول..

يقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 28] ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: 89]. فقد حوى القرآن الكريم كل الأمور التي تهم المسلم في حياته بل وبعد موته من زواج وطلاق وميراث.. حتى أنه تحدث عن العلاقات الدولية.. فالإسلام دين جامع لكل خصال البر.. والقرآن يخاطب العقل والعاطفة معًا.. ومن نماذج الخطاب العاطفي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 6، 7].. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ

بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 16 ـ 19].

ومن نماذج الخطاب العقلاني في القرآن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: 58، 59].

إن معجزات الأنبياء السابقين كانت موقوتة بحياتهم، أما معجزة رسول الله ﷺ وهي القرآن الكريم فهي باقية إلى يوم الدين.. وقد تحدى الله الكفار أن يأتوا ولو بسورة واحدة من القرآن، وهيهات أن يفعلوا ذلك.. وإعجازات القرآن متعددة، منها ما ذكرنا من استحالة إتيان أحد بمثله أو بعضه أو سورة منه، مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، ومن أنواع الإعجاز كذلك الإعجاز البلاغي، والإعجاز العلمي، والإعجاز الرقمي والإعجاز التشريعي والإصلاحي. وسنتناول هذه الأنواع بشيء من التفصيل:

أولاً: الإعجاز البلاغي أو البياني:

رغم أن العرب أوتوا الفصاحة والبلاغة وكانوا أهل بيان

وكان منهم شعراء وأدباء، وكان عندهم سوق عكاظ الذي يتبارون فيه في ميدان الفصاحة والبيان، ومع ذلك لم يستطع أحدهم أن يأتي بآية واحدة معجزة مثل آي القرآن؛ لأن أسلوب القرآن ليس له مثيل في الدنيا.. وتركيبات القرآن تختلف عن غيره من التركيبات، ومثال ذلك قوله وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: 35].

وها هو عمر بن الخطاب قبل إسلامه قد استل سيفه وتوجه لقتل النبيﷺ.. وما إن يسمع كلام الله تعالى من أول سورة طه، ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 1 ـ 8] حتى يعترف بإعجاز القرآن ونبوة محمدﷺ.

ومن أمثلة الإعجاز البلاغي في القرآن العظيم قوله تعالى، حاكيًا عن سيدنا إبراهيمعليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 78 ـ 81] ففي قوله: ﴿يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ لم يقل «هو»، لأنه لا يشك حتى

الكافر في أن الله تعالى هو المحيي والمميت، وفي قوله: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ و﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، ذكر لفظ هو، لأنه قد يشك الكافر أو ضعيف الإيمان أن الذي يطعمه ويشفيه هو الله تعالى، لذا أتى بلفظ «هو» لتأكيد المعنى.

وكذلك عند الحديث عن أبواب الجنة وأبواب النار في آخر سورة الزمر، عند أبواب النار قال: ﴿فُتِحَتْ﴾ أما عند الحديث عن أبواب الجنة قال: ﴿وَفُتِحَتْ﴾.. لأن المؤمنين يرون الجنة من بعيد ويأتون إليها بتمهل فيجدون أبوابها مفتّحة ومهيأة لاستقبالهم، كما قال سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾،[صَ: 50] على عكس الكفار يفاجأون بالعذاب وبأبواب النار تفتح فتخرج منها ألسنة النيران، ويسمعون تغيظها وزفيرها.. كما أخبر الحق جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 11، 12].

ونجد في القرآن قوله تعالى عند الحديث عن الصبر تارة: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]. وأخرى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43] واللام للتأكيد.. ويكون الصبر هنا أشد وآكد لأن الأذى يكون قِبَل

الكفار والفاسقين، لا ابتلاءً من قبل الله تعالى.

والقرآن يستخدم أيضًا لفظتي «امرأة» و «زوجة» ولكل لفظ مدلوله الخاص به.. فمثلاً سيدنا زكريا يقول قبل أن ينجب: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم: 5] وبعد ما ينجب يقول تعالى عنه: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90] لأن العلاقة تتأصل وتتوثق بالإنجاب.

كذلك تتأثر حروف القرآن ـ ثقلاً وخفة ـ بالمعنى المذكور في الآية.. ففي آية الحديث عن الجهاد وعند لوم الله للمؤمنين يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: 38]. فانظر إلى لفظ ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تجده لفظًا عجيبًا، ويعبر عن شدة القعود والتثاقل والتكاسل عن القتال.. وهذا بعكس لفظ ﴿ٱنفِرُوا۟﴾ فهو خفيف في لفظه ومعناه معًا.. أو في مبناه وفي معناه!

وهناك نموذج آخر في سورة الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [سورة الناس] فالشيطان بطبيعته لحوح وكثير الوسوسة.. والواو والسين ـ من أجل التعبير عن هذا المعنى ـ تتكرر كثيرًا في السورة كلها.. وكذلك

سورة الزلزلة.. كلماتها وحروفها تتفق مع المعنى اتفاقًا بيّنًا لا يحتاج إلى دليل. وكذلك كلمات «**الحاقة**» و«**الطامة**» و «**الصاخّة**» فيها مد لأنها تعبر عن طول يوم القيامة ومشقته وصعوبته.. وهكذا كلمة «كافة» فيها مد، لأنها تعبر عن سعة الخلق وكيف أن النبيﷺ بعث إليهم جميعًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: 14]. نجد الآية بدأت بلفظ الوالدين وختمت به، وبينهما «أمه»، لماذا؟ لأن الأب لن ترى نعمه وفضله عليك إلا بعد الكبر، أما الأم فترى فضلها منذ ولادتك وطول حياتك وفي كل وقت وحين..

ومثلاً سورة مريم مليئة بالحب والعطف والحنان والرقة ورحمة الله، وخواتيم الآيات تعبر عن هذا جيدًا من أولها إلى آخرها تقريبًا ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾.

وعلى العكس من ذلك سورة المدثر، آياتها قصيرة وإيقاعها سريع وخواتيمها قوية، لأنه مما يحثّ النبيﷺ على التحرك بهذه الدعوة والسعي في سبيلها والعمل على نشرها، وتنهاه عن التراخي أو التكاسل.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 1 ـ 5].

وفي بعض الأحيان يأتي الفعل الماضي ليفيد المستقبل، وهذا يعني تحقق وقوع الفعل وحدوثه في علم الله عز وجل، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1] وقوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ .. أي سنعطيك إياه بلا شك ولا ريب..

وهذه بعض النماذج، ولا نود الاستطراد أكثر من هذا.

ثانيًا: الإعجاز التصويري أو التعبيري:

فنحن عندما نقرأ القرآن نحس بأننا نرى المشاهد حية متحركة والأشخاص أحياء يتحركون ويتحدثون ويروحون ويجيئون أمامنا.

وأوضح مثال على ذلك الحديث عن النار والجنة.. يقول تعالى عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: 14] فكأنك ترى الأرض ترجف وتهتز أمام عينيك.. وكذلك الجبال.. كأنها تتفتت وتخر فتنسف نسفًا. ويقول تعالى عن النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12]، فكأن النار إنسان يحس ويغتاظ ويزفر غضبًا وحنقًا على هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾

[الفجر: 23]. فتتخيل النار وكأنها تجر أمامك والملائكة هم الذين يجرونها كما بيّن الرسولﷺ في حديث صحيح.

وكذلك عند الحديث عن أهل النار يقول سبحانه: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: 45] وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق: 24 ـ 25]. وبقية الآيات في سورة (ق) تعبر عن الحركة والخوف والندم في مشهد موح معبر. وأنصح ـ في هذا السياق ـ بقراءة كتاب «**التصوير ألفني في القرآن**» للشهيد سيد قطب.

ثالثًا: الإعجاز العلمي في القرآن:

يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] قال تعالى: ﴿ٱلْءَافَاقِ﴾ بصيغة الجمع وكذلك ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ و﴿لَهُمْ﴾.. فالآيات كثيرة وفي أنفس الناس جميعًا، وسوف يبين الحق واضحًا أبلج أمام أعين الجميع لا ينكره إلا جاحد أو مكابر.

وهناك آيات قرآنية تحدثت عن أحداث أو آيات كونية أثبتها العلم الحديث مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

فقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة، وهي أن السمٰوات والأرض كانت فعلاً ملتصقتين ببعضهما، وبفعل تفاعلات معينة حدث هذا الانفتاق، فمن أخبر النبي الأمي بهذه الحقيقة المبهرة والمعجزة الواضحة؟ إنه الله تعالى.

ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: 32]. ويثبت العلم الحديث أنه لولا الغلاف الجوي لتهشمت الأرض!

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: 37]. وينشر في «الأهرام» 20/ 2/ 2001 أن مصورين التقطوا صورة لنجم انفجر في السماء فكان يتحول إلى اللون الأحمر ويصير على شكل وردة!

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47] ويثبت العلم أن الكون ليس واقفًا أو ثابتًا، بل إنه يتحرك ويتسع بشكل مهول وبصورة غير عادية.

رابعًا: الإعجاز الرقمي في القرآن:

من ذلك مشتقات الشدة والتعرض للشدائد، فقد وردت في القرآن 114 مرة، وكلمة صبر ومشتقاتها مثل ذلك 114 مرة، وكلمة رجل ومشتقاتها (24 مرة) وكذلك لفظ امرأة

ومشتقاته.. وكلمة شهر ومشتقاتها (12 مرة)، وكلمة يوم (365 مرة)، وكلمة إبليس (11 مرة)، والاستعاذة منه كذلك (11 مرة)، وكلمة زكاة (32 مرة)، وكلمة بركة ومشتقاتها (32 مرة)، كذلك.. والعقل ومشتقاته (49 مرة)، والنور ومشتقاته مثل ذلك!!

خامسا: الإعجاز الإصلاحي والتشريعي:

وهذا من أعظم أنواع الإعجاز. وقد تحقق هذا الإعجاز على أرض الواقع منذ زمن بعيد، فانتقل العرب من أقوام فقراء جياع حفاة عراة إلى سادة الدنيا وملوكها.. وهذه هي معجزة الإسلام الذي يمد المسلم بطاقة هائلة تصنع المعجزات. وما زال هذا الإعجاز قائمًا إلى يومنا هذا سواء في الحدود أو الحقوق الزوجية أو المعاملات المالية أو غيرها من أوجه التشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. في الإسلام.

ونحن نريد أن نرى الإسلام كائنًا يتحرك بيننا، وذلك بتطبيقه في حياتنا وتمثل أحكامه وأوامره ونواهيه.. ونصر الله قادم، فلنحرص على أن نكون جنودًا في جيش النصر.. من خلال التمسك بالحق والعمل به والدعوة إليه.. وتذكر أخي القارىء دائمًا قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

المؤلف

obeikandl.com